السيد من ؟

يَتقمَّصُ قنبلةً يدويه
ينفجرُ عميقاً وبعيداً
ينفجر لكل شظيه
إسمٌ من أسماءِ البشر الحُسنى
إسم من أسماء الشهداءْ
قنبلة ـ روحٌ
لا يخرجُ في الأمواتِ

ولا يدخلُ في الأحياءْ
روحٌ
ينبح مجنوناً في المقبرة الليليّه
يتعثَّر ما بين العتمةِ والضوءِ
ويسقطُ في الريح

روح
ينبحُ
يصطكُّ على شاهدةٍ مائلةٍ
ويسحُّ ثقيلاً
تحتَ ثياب العُرس وأكفانِ الموتى والنشرات الجويّه
تتساءل عنهُ أكاليلُ الورد الذابل
وهياكل
أهلي العظميّهْ
وينّ غلامٌ وصبيه :
« السيد من ؟ »
« هذا السيد من ؟ »
ويُغمغمُ ذَكَر البوم لأنثاه :

رَجُلٌ نائمٌ في الفضاءْ
يسقط الشعرُ من رأسِهِ
خصلةً خصلةً
يسقط الشعر عن حاجبيهْ
شعرةً شعرةً
يسقط الشعر من شاربيهْ
رجل نائم في أغاني الهوى والشبابْ
وليالي العذابْ
رجل مثقل بالسرابْ
يسقط الشعر من لحيتِهْ
نائمٌ
يسقط الدمعُ والدمُّ من بُؤبؤيه
رجلٌ
في فِراش الخواءْ
نائمٌ
يسقط اللحم من جثتِهْ
رجلٌ

مومياءْ ..

وتقول الجنيَّه :

يَضحكُ في شَرَهٍ ويموتُ ويُبعث

معتدل الطولِ ثقيل الأهداب

رجل في منتصف العمر

وسيمٌ حين يغني

وقبيح حين يوزع صُورَ القتلى

لوكالات الأنباء وللصحف اليوميّه

رجلٌ ـ أفعى

جُرَذٌ ـ رجلٌ

يتكاثر في الانقاض

ويمتدّ ويلتفّ نباتاً شيطانياً

حول الكُرةِ الارضيهْ

يبكي في شَرَهٍ

ويميلُ إلى السِّمْنةِ

ما بين بطين القلب الأيسر

والنعلِ اليُمنى

تسألُ عَنهُ وتجيب امرأةٌ حبلى :

« هذا السيد من ؟ »

والسيد منْ ؟

ربطةُ عُنْقٍ حائلة اللون

يجذبها عُشَّاق القمم الشاهقةِ

ويجذبها الغرقى في برَك الدمْ

وهُواة كراسي الحكمْ

أحياناً ، ينبلج جبين السيد منْ ؟

عن رفّ سنونو

أحياناً تندف شفتاهُ الدفلى

أحياناً تقذف رئتاهُ الوحلا

ويوزِّع صُور القتلى

والسيد من ؟

شخص مجهولٌ

لا يعرف أحد من أهل الأرض متى جاء

وكيف ، ومن أينْ !

يتكلمُ لغةً لا يفهمها أحدٌ

ويحب الأطفالْ
ويُقالْ
السيد من ؟
يحيا ليلاً ويموت نهاراً ، ويقال ...
السيد من ؟
نَبضُ الصحراءِ وهمهمةُ الأدغال
ذاكرة أُخرى للريحِ الشرقيه
زُغرودة عُرسٍ
مرثيّه
والسيدُ من ؟
ظاهرة جيولوجيهْ
يتنفسُ ويغني في لغةٍ لا يفهمها أحدٌ
ويئنُّ على بابِ الله :
تنتابُني المُدن التي سقطتْ وتقرعُ باب بيتي جثةً أخرى .
أقوم مهرولا . بردٌ وليلٌ باهظُ القدمين . تبكي الريح خلف
الباب .
أصرخ : من هناك ؟ ولا أحدْ .

سأنام والأموات في الطرقاتِ
ينتحبون من خزيٍ ومن جوعٍ . وكيف أنامُ والاكفانُ غيمٌ
ماطرٌ شربَ البلدْ ؟
حسناً سأخرج للشوارع عارياً . وأصيحُ بالموتى السُكارى
القادمين من المخيّم خلسةً . وأصيحُ رُبَّ هُنيهةٍ تُصغي إليَّ
من الأبدْ .
تنتابُني المُدن التي شيدتُها ثملاً بأحزاني . أدندن في الميادين
الفسيحةِ بالطقاطيق القديمة مُشرعاً طربوش « عبد الحيّ »
للحسنات .
أعمى مغربياً قادهُ الثأرُ القديم الى رصيفٍ عامِر بالقصف
والجثث الجديدةِ . هل هُنا بيروت ، لا أمٌ يكفنها وَلَدْ ؟
بيروتُ أم عمانُ لا يدري القتيلُ ، لعلها الشامُ القديمةُ !
ربما بغداد أو مرّاكش . اختلطتْ عليَّ خرائطي اختلطتْ فلا
يافا تلوح ولا صَفَدْ !
ويصيحُ بي قلبي : انتظرني أيها المسكون بالترحال !
أزجره وامضي
أجتازُ قناصاً الى لغم

ويُفضي بي الى ما ليس يُفضي

وألمٌ أطرافي على عَجَلٍ . طريقُ الموت سالكةٌ . قُبيل الليل ميعادي هناك حبيبتي أغتُصبت أمام شقيقها . وهناك أزهارٌ من البارود أقطفُها بلا إذن وأركض في حديقةِ منزلٍ هجرتهُ أسرته حديثاً (إن أعمال التجارة في البرازيل اختيارٌ جيدٌ . والقنص في صحراءِ أستراليا مُباحٌ . تلك فرصتنا الجديدة ، لا حسودَ ولا حَسَدْ) .

عينُ الصوابِ وعينُ قناصٍ . سأختارُ النكوصَ إليَّ . إن كرومَ أهل الكهفِ سائبة تكاد تجف من دَنَفٍ ومن لهفٍ على وَعْدٍ وَعَدْ

وأكاد من عَطشٍ أموتُ . فما عليَّ اذا قطفتُ من العناقيد الأخيرةِ قطرتين لرحلتين : من السقوطِ الى السقوط ومن نهايات الخيال الى نهايات الجَسَدْ

الآن

أهبطُ

فَرسخين

الى
العَدَمْ
وأدقُّ أوتادي . وأنصبُ خيمتي البيضاء بين الرعد والكدمات
في زنزانةِ التعذيب . أمضي عطلة الويك إند في مُتنزَّهي
السريِّ . خلفَ البنكِ والثكناتِ والصحفِ المثيرةِ والممالك
والأمْم .
والآن أصعدُ فرسخين من العدم
لأطلَّ
رُبَّ صبيةٍ سلمتْ . ورب فتىً . أُحاول أن أزاوجَ بين مرثاةٍ
وأغنيةٍ . وبين دمٍ ودمْ

ولعلَّ زوجاً لم يزلْ من كل جنسٍ . يفتدي الآتي من الماضي
لعلَّ مدينةً سقطتْ تثوبُ لرُشدها في كوخ صيادٍ وقُبلهْ ..
ولعل في جسدِ القتيلِ لهذه الصحراء نخلهْ ..

والسّيد من ؟
شبحٌ حَمَلَتْه من الدنيا وإليها طائرةٌ

شبح سمعوه يغني :
أقلعتْ طائرةُ الروحِ عمودياً ،
لضيق الأرض .
لم يبقَ مطارٌ شاغرٌ في العالم السفليّ
لا مرشدَ
لا حارسَ
لا ضوء
ولا طيارَ
لا شيءَ سوى هذا المسافرْ
أقلعتْ طائرة الروحِ
الى أين ؟ ومن أينَ ؟
تكلمْ أيها الموت المغامر !
سقطتْ طائرة الروحِ
هُنا البرقُ
وفي منعطف الليل سحابَهْ
سقطتْ . في أي بحرٍ ؟ وعلى أيةِ غابَهْ ؟
فِرَق الانقاذ لم تعثرْ على عُلبتها السوداء

لم تفلح مساعي لجنة التحقيقِ في الحادثِ
سرٌّ غامضٌ
إضبارةٌ غامقةٌ أخرى
ملف مغلقٌ
خُطبةُ تأبين
وأزهارُ كآبهْ .
سقطتْ عن أمها تفاحةٌ
يا مستر نيوتن .
سرُّ الجاذبية
كامنٌ بين عصيري وقشوري
وسقوطُ البشريهْ
واضحٌ ما بين جلدي وضميري
واضحٌ بي ، غامضٌ في لجنةِ التحقيقِ
قلبي عُلبتي السوداء
هل في فرق الانقاذ من يسمعُ صوتي
مُقلعاً من هذه الأرض
عمودياً

وحيداً في الفضاء الشاسع الممتد

من موتٍ لموتِ ؟

وَيُقال :

السيد من ؟

توأم سيِّدنا آدمْ

طاردَهُ رُؤساءُ الإنس

وأهدر دَمَهُ مُلوك الجِنْ

والسيد مَنْ ؟

توأمُ سيدنا آدَمْ

مطلوبٌ للشرطةِ

في كل مخافر هذا العالَمْ

مطلوب

حَياً أو مَيتاً

مطلوب

WANTED

מְבֻקָּש

حيّاً أو مَيتاً
WANTED!

for being me and you and him
for being millions, being one and being none

والسيّد من؟

مطلوب
מְבֻקש

حيّاً أو ميتاً

מבקש
כי הוא הבחין
והבין
גם חש
כי הוא נאבק
ודרש
וזעק
:
ולחש
וטען

السيّدُ مَنْ؟